محور
الدراسات الإسلامية

حولية المنتدى

مجلة حولية المنتدى Hawlyat Al-Montada

I. S. S. N. Print :1998 - 0841 I. S. S. N. onlie :2958 - 0455 Doi 10.35519 /0828

الإسلام وإشكالية التحولات المدنية والحداثة
مقاربة نقدية لأفكار برنارد لويس

Research title: Islam and the problem of civil transformations and modernity
A critical approach to the ideas of Bernard Lewis

أ.متمرس.د
عبد الامير كاظم زاهد

a. " Experienced. Dr.
Abdul Amir Kazim Zahid
dr.zahid8800@gmail.com

تاريخ الإستلام: 2024/6/1 تاريخ القبول: 2024/6/15 تاريخ النشر: 2024/9/1

Recevied: 1 / 6 / 2024 Accepted: 15 / 6 / 2024 Published: 1 / 9 / 2024

ملخص بحث :

تحاور ورقتنا هذه منظرا امريكيا يعتقد جازما باستحالة الحداثة واقامة المجتمع والدولة المدنية في العالم الاسلامي او يرى ان المسلمين افتقدوا منذ القرن الخامس عشر الميلادي _ التاسع الهجري ثلاث قدرات مهمة هي قدرة الفتوحات والخبرة القتالية المتفوقة وقدرة إدارة التجارة العالمية والإفادة من مخرجاتها وقدرة امتلاك منصة العلم والذين كانوا يبشرون بدينهم به لكن هذه القدرات انتقلت الى الغرب لان المسلمين وقعوا في فخ ممارسة القوة المتعسفة بالفتوحات وخسروا التقنيات الرفيعة للتجارة بالتعويل على اقتصاديات الريع وحارب بعض الفقهاء العقل والفلسفة والمنطق وتجنبوا البحث في الطبيعيات واغلقوا الاجتهاد في

الانسانيات فخسروا منصة المعرفة وبسبب ذلك سادت لديهم افكار مميتة يستحيل معها تحقيق التقدم والمدنية ومما وقعوا فيه التمايز بين المسلم وغير المسلم وبين الحر والعبد والرجل والمرأة ودار الاسلام ودار الكفر إضافة الى ان النزعات الاصلاحية قد فشلت في اكتشاف اسلام متنور من عصر جمال الدين الافغاني الى الان وقد لاقت هذه الافكار مجموعة ردود :

١-ان اطروحة لويس مؤسسة على مسبقات ايديولوجية

٢- ان اعادة النظر بالاجتهادات واجراء المراجعة التاريخية ليس امرا مستحيلا على العلماء ومن ذلك ما قدمه الفكر الشيعي من نظرية لدولة دستورية ممانعة للاستبداد

٣- ان آراء لويس ليست قانوناً كونياً جازماً انما هو انطباع واجتهاد منحاز وتعارضه تجارب مدنية تنموية في ماليزيا وايران وتركيا وسنغافورة وكلها بلدان إسلامية في ثنايا البحث الكثير من التفصيلات

يقرر برنارد لويس أن انهيار الحضارات الكبرى أمام الزحف الإسلامي الأول كان زلزالا لا يتصور معه أن تتقدم على حضارة المسلمين أية حضارة , لأنها كانت حضارة عالمية (عابرة القارات) تبشر بقيم التقدم والإنسانية آنذاك فكيف تنازل العالم الإسلامي عن موقعه من متصدر حضاري إلى أمة يصطدم عقلها مع الحداثة والتحديث تلك الحضارة التي اعادت إنتاج المعرفة الإنسانية المنقولة إليها .

الكلمات المفتاحية : الاسلام - التحولات المدنية - الحداثة - برنارد لويس

Research Summary:

Our paper discusses an American theorist who firmly believes in the impossibility of modernity and the establishment of society and a civil state in the Islamic world, or believes that Muslims have lacked since the fifteenth century AD - the ninth century AH three important capabilities: the ability of conquests, superior combat experience, the ability to manage global trade and benefit from its outputs, and the ability to own the platform of science, and those who preached their religion by it, but these capabilities moved to the West because Muslims fell into the trap of exercising arbitrary power in conquests and lost high techniques for trade by reliability. Relying on rentier economics and fought some jurists

reason, philosophy and logic and avoided research in nature and closed the diligence in the humanities lost the platform of knowledge and because of that prevailed they have deadly ideas impossible to achieve progress and civil and what they fell into the distinction between Muslim and non-Muslim and between free and slave and man and woman and Dar al-Islam and the House of infidelity in addition to that the reformist tendencies have failed to discover Islam enlightened from the era of Jamal al-Din al-Afghani until now has met these ideas a set of responses:

-١ Lewis's thesis is based on ideological precedents

-٢ Reconsidering the jurisprudence and conducting a historical review is not impossible for scholars, including the Shiite thought presented the theory of a constitutional state that resists tyranny.

-٣ The views of Lewis are not a firm universal law, but it is an impression and diligence biased and opposed by civil development experiences in Malaysia, Iran, Turkey and Singapore, all of which are Islamic countries in the course of research a lot of details Bernard Lewis states that the collapse of the great civilizations in front of the first Islamic advance was an earthquake with which no civilization is imagined to be ahead of the civilization of Muslims, because it was

Keywords : Islam - Civil Transformations - Modernity - Bernard Lewis

ان أهميـة البحـث تظهـر في عـدة مقدمات :

١- لا يوجـد أنفـع مـن أن نطلـع عـلى نمـط تفكـير (خصـوم حضارتنـا)ومـن خلالهـم عـلى نقـاط الضعـف في تفكيرنـا ليسـهلوا علينـا اكتشـاف الخلـل ونقـد الـذات لاسـيما إذا عجزنـا عـن أن ننقـد ذاتنـا ،ولا يوجـد أروع مـن أن يتحـول نشـاط المؤرخـين لحضـارة المسـلمين مـن توثيـق الحـدث التاريخـي إلى تحليـل الحـدث وبيـان الدوافـع وتشـخيص الآثـار

٢- ويبـدو أن قدرنـا التاريخـي أن ندخل في صراع طويـل مـع (أوربـا – الغـرب) و قدرنـا أننـا نحمـل مشروعنـا الشرقـي ويحمـل الغـرب مشروعـا اخـر للعـالم ليـس بينهـما مواطـن اتفـاق كثـيرة , وقدرنـا نحـن والغـرب أن نعتنـق دينـين بينهـما كثـيرا مـن نقـاط الاتفـاق لكننـا نفهـم الديـن فهـما يتعـارض مـن جوهـره معـا

٣- وقدرنـا أن ندخـل في مواجهـة تاريخيـة بـين الإسـلام و الغـرب لاسـيما

مـع القـوى الصراعيـة فيـه ولا تـزال مستعرة منـذ خمسـة عـشر قرنـا والى الان لم يهـدأ ذلـك الـصراع) [٠١]

لقـد كان المصـداق الأول والمبكـر لهـذا الـصراع , السـجال اليهـودي – التلمـودي ضـد المسـلمين والـذي أخبرنـا القـرآن عنـه في آيـات عـدة منهـا ((وَلَـنْ تَـرْضَى عَنْـكَ الْيَهُـودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّـى تَتَّبِـعَ مِلَّتَهُـمْ قُـلْ إِنَّ هُـدَى اللَّـهِ هُـوَ الْهُـدَى وَلَـئِنِ اتَّبَعْـتَ أَهْوَاءَهُـمْ بَعْـدَ الَّـذِي جَـاءَكَ مِـنَ الْعِلْـمِ مَـا لَـكَ مِـنَ اللَّـهِ مِـنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِـير)) [٢]

((يَـا أَيُّهَـا الَّذِيـنَ آمَنُـوا لَا تَتَّخِـذُوا الْيَهُـودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَـاءَ بَعْضُهُـمْ أَوْلِيَـاءُ بَعْـضٍ وَمَـنْ يَتَوَلَّهُـمْ مِنْكُـمْ فَإِنَّـهُ مِنْهُـمْ إِنَّ اللَّـهَ لَا يَهْـدِي الْقَـوْمَ الظَّالِمِـينَ)) [٣] ((لتَجِـدَنَّ أَشَـدَّ النَّـاسِ عَـدَاوَةً لِلَّذِيـنَ آمَنُـوا الْيَهُـودَ وَالَّذِيـنَ أَشْرَكُـوا)) [٤]

وكانـت العلاقـة ذات طرفـين احدهـما امتلاكهـم الخـبرة والمـال وأن المسـلمين بحاجتهـم دائمـا حتـى في مجـال المعرفـة الدينيـة ومنهـا قبلـة صلاتهـم [٥] وانتقـل هـذا السـجال الى صراع قتـالي مـع الـروم النصـارى الـذي كان يسـير بحمـلات تصاعديـة مـن المواجهـات الحربيـة تحـت عنـوان الفتـوح وكأن الرؤيـة التاريخيـة لطبيعـة هـذا الصـدام تتلخـص في معادلـة تقـرر ان وجـود أحـد الطرفـين مرهـون بأنهـاء الآخـر فصاغـوا منهـا المعادلـة الاتيـة (كلـما قويـت الحضـارة الإسـلامية يلـزم ان تضعـف الحضـارة الغربيـة والعكـس صحيـح) فلـم نشـهد للـصراع نهايـة ايجابيـة ناتجـة عـن تكافـؤ الطرفـين الـذي يـؤدي إلى فرصـة لاقتسـام الهبات الإلهيـة للبـشر ويحقـق التعايـش الإنسـاني ويتبـادل اهـل الاديـان الخـبرة المدنيـة لحيـاة كريمـة للإنسـان . وتقابـل هـذه الرؤيـة تقابلهـا رؤيـة اخـرى لهـذا الـصراع تفـسر جوهـر هـذا الـصراع بأنـه (صراع ديني عقائـدي) فقـط وفيهـا الكثـير مـن الثغـرات المنهجيـة لان المصالـح الاقتصاديـة والنفـوذ والاسـتحواذ والـثروات عنـاصر داخـل هـذا التفكـير الجيوسـياسي لكـن اطـراف الصراع اسـتعملوا اذرع ووسـائل تحشيد وتعبئـة منهـا الديـن والمعتقـدات فصـوروا كل طـرف ان الـصراع لإعـلاء كلمـة دينهـم ومـن ذلـك مثـلا حـروب الصفويـين مـع العثمانيـين والحـروب الصليبيـة ويـرى اصحـاب هـذه الرؤيـة ان الحـروب الدينيـة كانـت تنطـوي على غايـات اقتصاديـة واسـتراتيجية للصراع و تـرى أن الحـروب الصليبيـة كمثـال عـلى المواجهـة لم تكـن حربـا دينيـة محضـة إنمـا اختفـت وراء الديـن أهـداف اقتصاديـة وسياسـية ,ويفـسر أصحـاب

هـذه النظريـة توجهـات العقـل الغـربي المعـاصر في مشروعيـة اسـتمرار الـصراع مثـلا بـين اليمـين المسـيحي الأنجيـلي في امريـكا وبـين الجانـب الإسـلامي (بـكل تنوعاتـه) عـلى ذات الأسـس

فمنطلقـات الرؤيـة المعـاصرة للـصراع مركبـة مـن أمـور عقائديـة واقتصاديـة وثقافيـة ووفـق المنهجيـات المعـاصرة فقـد تحولـت الممارسـة الصراعيـة الكلاسـيكية مـن ممارسـة بسـيطة إلى مواجهـة اسـتراتيجية معقـدة أي أن أوربـا وأمريـكا باعتبارهـما جزئيـين مـن جغرافيـة العـالم الغـربي الـذي يحقـق وتائـر سريعـة للتقـدم العلمـي يدخـل مـع جغرافيـة الاسـلام الغـارق بالتخلف والعجـز بحـروب اسـتنزاف دون أي قلق مـن احتـمال الخـروج مـن التموضـع التاريخـي وهاتـان الجغرافيتـان تتصارعـان ضمـن اسـتراتيجيتين الغربيـة (الهيمنـة) و (الدفـاع والتطلـع للتنمية والتحـرر مـن الهيمنـة الغربيـة).

وبهـذا السـبر والتوصيـف - تواصـل الدراسـات في هـذا الصـدد دأبهـا متجهـة نحـو البحـث الحقيقـي عـن جوهـر العنـاصر المكونـة للـصراع الاسـلامي الغـربي الـذي نفتقـد فيـه الى القيـم الإنسـانية مـن خـلال افـكار فوكوياما في نهايـة التاريـخ وهنتنغتـون في صـدام الحضـارات

يزعـم مفكـرو العـالم الاسـلامي أنهـم حملـة رسـالة إنسـانية قيميـة لكـن عالمهـم المـادي في وضـع أضعـف مـن أن يبـشر برسـالة , وكذلـك يزعـم المفكـرون الأوربيـون انهـم حملـة رسـالة الحريـة والتقـدم الانسـاني والمدافعـين عـن حقـوق الانسـان بيـد ان التطلعـات الماديـة لحضـارة الغـرب لا تتسـع لـكي يبـدو الغـرب فعـلا حاملا للمسـؤولية الانسـانية للتبشـير بالقيـم غـير البرجماتيـة .

ومنـذ القـرن التاسـع عـشر حتـى اليـوم وهـو زمـن ضيـاع او تضييـع الفـرص الحضاريـة النهضويـة للمسـلمين فـان زمـن الهيمنـة الغربيـة عـلى العـالم الإسـلامي ثقافيـا واقتصاديـا وعسـكريا لا يـزال مسـتمرا وفي بلداننـا مـن يوالـون الغـرب وفيـه مـن يواجهـون الغـرب مواجهـة حـادة ولم يتغـير هـدف الغـرب في المواجهـة انـه مـشروع اسـتحواذ عـلى الـثروة والهيمنـة تحـت يافطـات منهـا الدعـوة الى تبنـي ايديولوجيـات الحداثـة وتفكيـك معوقاتهـا ومنهـا تلطيـف الإسـلام والدعـوة الى اسـلام معتـدل وتعظيـم إشـكالية حقـوق الإنسـان المفتقـدة في الفكـر الاسـلامي بالتركيـز عـلى عـدم احتـواء المـشروع

الإسلامي على الحقوق المدنية ولحل لهذه الإشكالية يرى دعاة الغرب التدخل المباشر لتحويل بلدان العالم الاسلامي الى بلدان ديمقراطية تعتمد حقوق الانسان شريعة ومنهجاً فكرياً وسياسياً .

ورغم ان هاتين الإشكاليتين تعبران عن مادة فكرية متسقة في محتواهما لكن في ازائهما يقف العالم الإسلامي مواقف متعددة بسبب افتقاد الفكر الإسلامي المعاصر للرواد وللأدوات التي تصنع حوارا جادا ومتكافئا, ولعل ذلك واحدا من أسباب تبني بعض الجماعات الدينية اسلوب العنف المسلح للتعبير عن وجودها وتعتبره السبيل الوحيد للتعامل مع المسارات الغربية. ومعه اسباب وتداعيات اخرى في الصدام البيني بين المتدينين والمدنيين والنزاع بين متبني الاصالة ومتبني الحداثة وامامنا تجربة الجماعات الاحيائية في ايران والسعودية وتونس وتركيا وجهدها للتغيير الضروري المتحفظ عليه من الجماعات المحافظة

ولقد استفاد الغرب من ظاهرة العنف الديني فقد حفزت الغرب للتعاطي معها وتوظيفها كأداة لاستمرار تدمير الحياة والنهوض والتقدم في عالمنا الاسلامي وقد دعمتها فعليا وهاجمتها اعلاميا ولعل موقف الغرب من القاعدة في افغانستان ابان حربها مع السوفيت وما بعده دليل على ذلك ومتى نتوقف على نوع تعامل الغرب مع ظاهرة العنف الاصولي الاسلامي نجد انه ييسر مرامي جماعات العنف الديني ويمولهم ففي افغانستان كان بحجة مقاومة محتل (ملحد) هو السوفيت مثلا وفي سوريا كان ضد ما سماه ديكتاتورية الاسد وفي العراق ضرب اتباع ايران بدعم داعش بشكل تعبوي وضربهم متى تخطوا حدود المرسوم لهم توافقاً او اتفاقاً .

ولقد أفاد الغرب من هذا التبني فوائد جمة منها اخراج السوفييت من افغانستان وابقائها دولة هشة فاشلة يحكمها الاسلاميون لتكون شاهدا واقعيا على مدعى ان الاسلام لا يحقق النهوض والتنمية وساعد على انتشار المد العنفي المتعصب للإسلاميين حتى بعد طرد السوفييت وانتشاره في عموم العالم الاسلامي ثم ركزت وسائل الاعلام التي تصنع الراي العام على ظاهرة العنف الديني الاسلامي وضخّمها ليظهر الإسلام دينا بدائيا همجيا يسعى اتباعه إلى تدمير

الحضارة الانسانية والمدنية ويسفك الدماء , ويعتدي على القيم التي ضحت لأجلها أجيال من البشر مثل قيم الديمقراطية وحقوق الإنسان و قيم التقدم .وحريات التفكير والتعبير والاعتقاد .

ومما يلفت النظر في هذه المواجهة ان فعاليات العنف في تسعينيات القرن الماضي التي اعتبرت نقطة تحول غاية في الأهمية عن سابقاتها , قد جاءت مع مجيء المحافظين الجدد الذي أفرزهم اليمين الأمريكي الانجيلي ومع انهيار الاتحاد السوفيتي وسقوط جدار برلين ,وفي هذا الخضم ظهرت نظرية صدام الحضارات لهنتنغتون وايدولوجية نهاية التاريخ لفوكو ياما , ومن طروحات هذه النظريات ومن التجارب التاريخية تطورت دعوى استحالة الحداثة في المجتمع الاسلامي وهي في الاصل اطروحة برنارد لويس الذي يسميه أركون [٦] مفتي الغرب وشيخ الاستشراق الحديث

لقد تحول اكثر الباحثين في مراكز الابحاث الغربية من مؤرخين أكاديميين إلى مستشرقين غائيين ثم تطورت مهمتهم من باحثين عن الحقائق الى مخططين للاستراتيجية الأمريكية ولقد ركزت نقدهم في الربع الأخير من القرن الماضي على متبنيات العقل الإسلامي التقليدي عندما تحول من وجهة دعوية إلى وجهة قتالية كان في البداية ضد السوفيت في أفغانستان وقد أعقب ذلك تنامي النزعة العنفية العشوائية التدميرية فتحول مفهوم (الجهاد) بعد ١١/أيلول/٢٠٠١ عندهم من واجب ديني موجه لرد العدوان على المسلمين إلى مبرر للعديد من الحروب الاهلية الداخلية على منطق تبريري وهو تكفير غير المتطرفين من المسلمين وقتلهم وسيق ذلك كله بوصف تزييفي انه مقدمة ضرورية للمواجهة مع الغرب وهنا نلفت النظر الى تشوهات الوعي التي يخضع لها العقل الشرقي .وقد سبق القول أن أحداث ١١/أيلول أعطت للسياسة الأمريكية فرصة كبرى لتكوين رأي عام دولي ضد الاسلام وصوروا كل الجماعات الاسلامية انهم قتاليون ثم قدمت مؤسسة راند لائحة اسمتها الاسلام المعتدل نزعت منه الاستعداد المعنوي للدفاع عن الذات والوجود والحياة والمستقبل وهيأت تلك الدراسات قبول النزعة الحربية الغربية ضد المسلمين

وصورت حروبها بأنها دفاع استباقي عن أمن الشعب الأمريكي وأمن أوربا عامة [٧] فصارت امريكا هي التي تمنح الحضارة الغربية فرصة البقاء والنمو والاستمرار , كما صورت للعالم انه بدون حماية امريكا فإن الحضارة الغربية مهددة بالزوال , وأن الإنسان الغربي مهدد في وجوده , ودينه وحضارته من جماعات الاسلام العنفي , وهكذا عبأ الأمريكان العقل الأوربي ضد الإسلام .

ومن معطيات ١١/أيلول في العلاقات الدولية أنه نقل مركز صنع القرار الحربي والمخابراتي من أوربا الوسطى إلى أمريكا , لاسيما وان مراكزها البحثية التي تربو على (٢٠٠٠) مركز دراسات استراتيجية [٨] وهي ترشَد القرار السياسي والاقتصادي وتبرمج سياسات المواجهة بهدف تزعم العالم الجديد في الوقت الذي تداول الامريكان اتهام اوربا بالقارة العجوز.

ومن تلك مسالة إشكالية الإسلام والحداثة , وحول هذه الإشكالية ظهر كتاب مستقل عن الإسلام و الحداثة لبرنارد لويس اسماه اين يكمن الخطأ والذي أصله سبع محاضرات لويس ثلاث منها في فينيا عام ١٩٩٩م Culter and Modernism is ierung im vaben عام ٢٠٠١م واعيدت صياغتها فانتخب منهما الفصول الثلاثة الأولى من كتاب ((أين يكمن الخطأ؟)) الذي بإضافة صِدَام الإسلام والحداثة في الشرق الأوسط)) [٩*] عام ٢٠٠٢م أي بعد أحداث أيلول ببرهة وقبل احتلال العراق بأشهر ثم ترجمته ونشرته دار الرأي / دمشق عام ٢٠٠٦م .

منهج الكتاب : يركز الكتاب على استنتاجات تفسيرية للتاريخ الحديث والمعاصر مقتطعة من التتبع التاريخي لمجريات العلاقات بين الغرب والعالم الإسلامي بانتقاء احداث لها دلالات تدعم رؤية الباحث، لينتهي إلى أن العقل الذي يشكله الإسلام عقل يصطدم ذاتيا وبنيويا مع الحداثة فهي اذن مستحيلة مع هذا العقل ولابد من احد مرين القبول بالتخلف كأمر واقع بسبب التكوين المعرفي للعقل الاسلامي او اجراء تعديلات جوهرية على المكونات الدينية لذلك العقل وفي هذا الكتاب مقدمة طويلة وفصول أربعة يمكن تلخيص الفرضية المركزية له انه توظيف لتاريخ الصراع بين المسلمين وأوربا المسيحية للوصول الى

ترسيخ قناعة باستحالة الحداثة مع الإسلام

يبدأ لويس بالقول كان الإسلام حركة حضارية كونية متعددة الطاقات الذاتية لا ينافسه إلا العالم المسيحي لأن الاخير يمتلك دين مقابل دين الإسلام ويمتلك قوة عالمية لا يملكها المسلمون فلم تكن الحضارة الصينية منافسة للإسلام لأنها حضارة محلية تتحرك على مجموعة عرقية واحدة وإذا كان هنتنغتون يوصف الصدام الحضاري بانه معاصر أو على الأقل لم يصرح بالامتداد التاريخي السحيق له فان لويس قبله كان يرى أن الفتوحات الاولى باتجاه سوريا المسيحية كانت نقطة البدء في الصدام التاريخي بين الشرق والغرب

لقد انطلق من وسائل المسلمين الاوائل لنشر الإسلام بالفتوحات نحو أهدافه الفكرية فجعلها نقطة المبادرة بما سماه (عدوان اسلامي على الغرب) ثم أشار إلى أن الفتوحات قد توقفت بعد فترة من الزمان وعندها بدأت دورة التراجع في عالم المسلمين وكان أول مؤشر على ذلك التراجع توقف اندفاع المسلمين بالفتوحات ثم تم طردهم من صقلية ١٤٩٢ م بعد ثمانية قرون من الاستيلاء عليها وهذا يعني ان المسلمين في صقلية لم يكسبوا الناس ولم يوجدوا لهم محبة ويستطرد لويس بان هذا الحدث فتح الدرب للغزو المسيحي لآسيا وأفريقيا واسماه الهجوم المضاد .

وازاء اندفاع العثمانيين نحو أوربا وما حققوه من انتصارات خاطفة فانهم تقدموا دون ان يوقفهم احد حتى واجههم حلف مسيحي عام(١٦٨٤م) برعاية البابا الكاثوليكي فتكررت خسائر العثمانيين , وتم إجبارهم على التخلي عن مفاهيمهم (العدوانية !!!) في التعامل مع جوارهم من العالم الخارجي .

لقد استفاد برنارد لويس من تعمقه في تاريخ الشرق الأوسط فانتقى مجموعة أحداث تاريخية , وأتقن طريقة توظيفها ليصل من خلال تحليله المتحيز للحدث مادة استدلالية للوصول الى تقديم رؤيته التي كانت هدف الكتاب فصيّرها مجموعة أدلة لاقناع الاخرين بافتراضاته

وهنا يصل لويس الى ان العالم الاسلامي قد تنازل عن خياره العسكري واصبح توسله بالقوة والفتوحات من الماضي الذي يتغنى به وانتهى التهديد الاسلامي للغرب

الى الابد وهذا اول انجاز يحققه الغرب بالهجوم المضاد ولكن بقيت عند المسلمين المهارات التجارية التي شخصها لويس بانها احدى عناصر القوة الى جانب امتلاكهم للمنصة العلمية

أما التجارة , فقد امتاز المسلمون الاوائل بانهم تقنيين مارسوا حركة تجارية عالمية متميزة , ونشروا في حركتهم التجارية دين الإسلام في جنوب شرق آسيا فلأجل الا يستمر التبشير بالاسلام عن طريق العلاقات التجارية حاولت القوى الغربية امتلاك هذه المهارة ونزعها من ايدي المسلمين فتراجعوا تدريجيا عن تلك التقانة فلم يعد للمسلمين ذلك الدور المتميز في التبادل التجاري العالمي وسنشير فيما بعد إلى أسباب النكوص التجاري كما وصفها لويس.

وهنا يؤسس لويس ان الوسيلة الثانية لنشر الاسلام قد انتهت وفشل التجار المسلمون في حمل الدين الجديد الى بلدان العالم من خلال تفوقهم بالتجارة

أما المعرفة العلمية فإن المسلمين لما قرروا نقل المعرفة الإنسانية لبلدانهم من أوربا وترجموها ونشروها كانوا يستحقون لقب افضل أمة تعاملت مع المعرفة والإفادة منها في تشكيل رؤيتهم الحضارية لقد كانوا من أكثر الأمم إبداعا في التصرف بالمعرفة الإنسانية ولكن ذلك لم يدم طويلا فقد استولت قوى أصولية كانت تؤمن أن صِدَاماً حتميا سيحصل بين الإيمان والمعرفة وصوروه بانه واقع لامحالة واعتبروا المعرفة البشرية المنافسة للمعرفة الدينية من صور الفتنة الإلهية للإنسان ليختبر الله ايمانهم فحرمَوا الفلسفة والمنطق واغلقوا الاجتهاد وسادت الاساطير والخرافة في منظومتهم المعرفية وهو بهذا يشير الى هجمة المتوكل العباسي على الاعتزال وابراز جماعات المحدثين واتباع التمسك بالنصوص كيفما كانت ورفض العقلانية والنزعة العلمية والبحثية وما حصل بعد ذلك من تطورات كالبيان القادري ٤٢٠ هـ وغلق الاجتهاد وتحريم علوم الاجانب واضطهاد الفلاسفة ومعطيات المدرسة النظامية السلجوقية من (٤٤٧هـ- ٥٣٠هـ) وهكذا يقرر لويس أن الوسائل الثلاثة التي انتشر الإسلام بواسطتها قد أخفق المسلمون في ديمومتها والاحتفاظ بها للإفادة منها [١٠] وعلى عدم الإفادة منها كوسائل لنشر دينهم

تساءل لويس : السؤال التاريخي: أين يكمن الخطأ ؟ أنه سؤال الباحث الغربي عن سر انتكاس المسلمين وهو سؤال مهم لمن يريد تجاوز السبب, أو لمن يريد تكريسه معا . لكن لويس سعى الى أن يجعل الخطأ كامن في بنية الإسلام نفسه حاله حال اغلب الخطاب الاستشراقي الذي يجعل من الفروع والتطبيقات غير السليمة ادلة على اثبات رؤيتهم

ومن ذلك مثلا : أن لويس يقرر أن انهيار الحضارات الكبرى أمام الزحف الإسلامي الأول كان زلزالا لا يتصور معه أن تتقدم على حضارة المسلمين أية حضارة , لأنها كانت حضارة عالمية (عابرة القارات) تبشر بقيم التقدم والإنسانية آنذاك فكيف تنازل العالم الإسلامي عن موقعه من متصدر حضاري إلى أمة يصطدم عقلها مع الحداثة والتحديث تلك الحضارة التي اعادت إنتاج المعرفة الإنسانية المنقولة إليها هل الخلل في البنية النظرية للإسلام او لطريقة الفهم البشري للإسلام ؟ الجواب ان اصل الافتراض لا يتسع لنقد الإسلام اذ المضمون المنهجي والتصور التنموي احدى ابرز الحقائق ولأنه لم يتغير من زمن الابداع حتى زمن التراجع ولم يبق الا تغير فهم الاسلام بين الفهم العقلاني والواقعي الذي تجسد في الاعتزال والتشيع وايمان الفلسفة وهؤلاء جميعا تعرضوا الى اقسى انواع الاقصاء والاضطهاد والتخوين والتكفير والبدعة ....الخ وعلى فرض ان هذا عامل صيرورة فان منهجيات هولاء وادبياتهم لم تنته بل ان ادبياتهم ومدوناتهم رغم قساوة الاقصاء والاحراق ظلت شاهدة على القرون حتى اننا لما حصل الصدام مع الحضارة الغربية اواخر القرن التاسع عشر لجأ اصحاب الرؤية النهضوية كالنائيني وجمال الدين الافغاني ومحمد عبده الى المنهج العقلاني والنقدي فالخلل اذن في النمط الذي هيمن على صناعة الثقافة عند المسلمين بعد القرن الخامس الهجري وهذا يمكن تجاوزه فهو ليس من المقدسات والثوابت انما من الوسائل والاليات وليس عنصر ثابت من عناصر الثقافة

يقول لويس لقد تلقت أوربا فيما بعد الأرث العلمي والحضاري من المسلمين , وأحرزت فيه فهما متقدما وجعلت من نهاياته الاسلامية نقطة الشروع لها , في حين تراجع الإنجاز العلمي الإسلامي بعد القرن الخامس

عشر الميلادي التاسع الهجري فكان هذا المحفز للسؤال أين يكمن الخطأ ؟ وهنا يشار الى مفارقة مهمة وهي ان التراجع حصل في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري في عالم المسلمين والاشارة الى القرن التاسع الهجري وهذا يشكل فجوة تاريخية في اسستقراء لويس للتاريخ لذلك نؤشر هنا على استطراد لويس أن القرن الخامس عشر الميلادي كان قرن انطلاق أوربا وهو في نفس الوقت كان قرن التوقف الحضاري للمسلمين اذ كيف يصف حال المسلمين من القرن السادس للقرن التاسع؟ هل هو امتداد زمني للفعاليات العلمية للقرون الخمسة الاولى ؟

الحقيقة لم تجب اطروحة لويس عن هذه المفارقة

يقول لويس انه في القرن التاسع = الخامس عشر الميلادي بدأ التوسع التجاري للأوربيين في العالم الإسلامي وفيه انحسرت الحركة التجارية عند المسلمين عن معدلاتها الأولى من دون ان يعطينا اسباب الانحسار هل هي ايضا بسبب الدين مما تقدم ممكن ان نتساءل لماذا توقفت الفتوحات وحصل العكس ؟ ولماذا فشل العالم الإسلامي في الإفادة من المعرفة الأوربية في القرن ال خامس الهجري ؟ولماذا انحسر النشاط التجاري للمسلمين في العصر الحديث ويمكننا ان نستعير سؤال برنارد لويس (أين يكمن الخطأ؟) ويشير لويس الى جانب اخر يصطف مع هذه العوامل الثلاثة المهمة يتجسد بعاملين اخرين هما:

اولا : تخلص روسيا من سلطة وسيطرة المغول المسلمين وعودة الارثوذوكس لتصدر الموقف ,

ثانيا : تطور الصراع الداخلي بين الصفويين والعثمانيين الذي دام فترة طويلة واستنزف موارد بشرية ومادية كبيرة اضعفت الجانب الاسلامي

ولعل تلك العوامل في غاية الأهمية في البحث عن سر العجز الإسلامي الحديث والمعاصر ، فلقد اعتبر لويس كل ما تقدم وقائع معركة تاريخية بين الاسلام والغرب, وتعامل معها بوصفها أحداث مسببة و سمى الفصل الأول من كتابه (دروس المعركة) وأراد منها اظهار نتائج هذه المعركة في مطلع القرن الثامن عشر الميلادي فأوجزها بعدة نقاط :

١-تراجع العثمانيين أزاء الزحف الجيو- سياسي الأوربي على العالم الإسلامي .

٢- انتزاع النادي المسيحي ل(إسبانيا والبرتغال وصقلية) من المسلمين .
٣- التواجد الأوربي في جنوب شرق آسيا الاسلامية.
٤- حصول تحولات إدراكية في عقل النخب من المسلمين بما يختلف عن تصورات العصور الاسلامية الوسطى ويستشهد على ذلك بقول عسكري مسلم ((ينبغي على المؤمنين إتباع الكفار في تنظيمهم العسكري وطرق إدارتهم للحرب)) [١١] .
٥- نهوض روسيا الجديدة بدون سلطة إسلامية .
٦- انتصار الفرس على العثمانيين (والفرس بعيدون عن المرونة) بحيث لم يحفزوا المسلمين على أخذ علوم الغرب

هذه العناصر : أضعفت النزوع إلى التحديث عند المسلمين في الوقت الذي كانت أوربا فيه تجتاز أهم الخطوات التأسيسية نحو مجتمع المعرفة التطبيقية , وفي هذا الوقت توسع النشاط الدبلوماسي الأوربي بينما لم يمارس المسلمون العمل الدبلوماسي الناجح نهائيا , لأنهم يعتقدون أن غيرهم من الشعوب كفار وهمج وبرابرة فلا يستحقون الاعتراف بهم , وعن الطريق الدبلوماسي عرف الغرب أسرار المجتمعات الإسلامية ولن يعرف المسلمون أسرار الغرب ولم ينتبهوا إلى أهمية النشاط الدبلوماسي إلا بعد قرنين من الزمان , فباشرته تركيا اول مرة في فرنسا , وكان تقرير راتب أفندي (الدبلوماسي العثماني) عن الغرب المؤلف من (٢٤٥) صفحة يعادل عشرة أضعاف ما كتبه أسلافه الدبلوماسيين جميعا [١٢]

وعلى مستوى التحديث قام اليهود المهاجرون من إسبانيا وأروبا والمسيحيون المنشقون (الهراطقة) بإنشاء مطبعة في استنابول فكانت طبقة التكنوقراط من الذميين تمارس بواكير فعاليات التحديث ورغم أن تركيا كانت أكثر استعدادا لقبول التحديث من إيران التي أجبرها العجز الحضاري على التنازل عن أراضي شاسعة إلى روسيا ١٨١٣-١٨٢٨ م وهي لم تمارس التحديث فلاسباب دينية فينتهي به القول الى انه لم تخلق الفرصة التاريخية لإيران ولا لتركيا لمراقبة الغرب عن كثب حتى مع ظهور الاحتكاكات الدبلوماسية , والحرب , والتجارة , والمعرفة .

ان اهم سبب من اسباب انحسار النشاط التجاري الاسلامي كما يقول لويس أن الفقهاء كانوا يركزون بعناية

على حرمة الرحلات إلى بلاد الكفر ، وهم مختلفون في مدى جواز عيش المسلم في بلدان غير إسلامية وأغلبهم على الحرمة ، بل يفتي كثير منهم بوجوب مغادرة المتوطنين في تلك البلدان بما يشمل الناس المسلمين الذين بقوا في إسبانيا فطلبوا منهم ان يهاجروا للمغرب تنفيذا للفتوى وهنا يعترف لويس أن هذه الفتوى افتراضية لأن المسيحيين في إسبانيا لم يكونوا متسامحين , بيد أن الفتوى غير ناظرة للموضوع من جانبه الاجتماعي انما الجانب الديني المنفصل عن الاحتياجات الاجتماعية . ويركز لويس على موقف ديني مؤداه خوف الفقهاء على المسلمين من ان يتنصروا ويرتدتوا ولكون المسيحية عندهم أمر منتقص القيمة فان المسيحيون لا يستحقون ان يجاورهم من هو افضل منهم

ويبرر لويس اضطهاد المسيحيين للمسلمين القاطنين في أوربا بالقول ((لأنهم يتحسسون أن بلدانهم يوما ما خضعت لسيطرتهم بينما لم تخضع للصينيين أو الهنود, ولأن حضارة الصين والفكر اليهودي التلمودي لم يهاجما حضارتهم كما هاجمها المسلمون بل لم تقدم هاتان الحضارتان نسخة تعتقد أنها أفضل من الأنجيل بوصفه كلمة الله الخالدة كما قدم المسلمون القران)) وبذلك يتحول التحليل التاريخي عند لويس الى تعبئة تحريضية وايجاد المبررات للسلوك العنصري الغربي ضد المسلمين

يقول لويس : مع هذا الظرف جاءت الفتوى الدينية بكراهة الرحلات إلا للضرورة خشية الاندماج , على أن قضية الاندماج كانت في العقل الفقهي قضية شموليه ومتعددة الابعاد و خطيرة دينيا فهم يحرمون اندماج المسلم بغير المسلم واندماج الرجل بالمرأة , واندماج الدين بالعلم , واندماج الدين بالفلسفة رغم أنهم على علم كاف أن عددا من الذميين كانوا يتولون أعمالا مهمة في المجتمعات الإسلامية مثل الدبلوماسية , والتجارة والطب والكيمياء والترجمة وعندما افرزت تلك الفتاوى معطياتها وبعد تزايد النكسات والهزائم أفتى الفقهاء بجواز محاكاة الكفار بهدف التفوق عليهم ولكن بعد فوات الاوان ولم يفكر العقل الفقهي بسؤال لماذا كان الكفار هم الذين يقدمون الإنجاز الحضاري ؟ بل لم تطرح هذه الاشكالية على بساط البحث حتى القرن التاسع

عشر عندما كتب شكيب ارسلان لماذا تخلف المسلمون وتقدم الغرب في الفصل الثالث : كان لويس : يبحث عما أسماه عوائق التحديث والحداثة الاجتماعية والثقافية فيقول:

بعد الانتكاسات أعطى المسلمون اهتمامهم للتسلح والإنتاج الاقتصادي والإدارة الحكومية لكنهم نسوا أن يعالجوا مشكلات الموقف الفقهي من المرأة وإشكالية تعدد الزوجات , ونظام الحريم , والموقف من غير المسلم حتى أن المصلحين من المسلمين كانوا يخشون الحديث عن حقوق المرأة وضرب لذلك مثالا هو الباشا نامق كمال الذي اضطرته الهجمة الفقهية أن يترك المسار الذي بدأ به ومثله قاسم امين الذي نادى بحقوق المرأة في عام ١٨٩٩ وربط بين تحرير المرأة وتحرير المجتمع والذي لاقى ردود فعل عنيفة[١٣]

لقد تحول السجال في شان النهضة الى تبريرات على اساس التفرقة بين الحداثة والتغريب , فالحداثة تغيير في سلوكيات استخدام التقنيات والتغريب تغيير في القيم العليا لسلوكيات المجتمع فشوهوا الوعي واعتبروا ان التحديث عبارة عن تغريب فكانت من مشاكلهم المستعصية مشكلة المرأة و مشكلة العلم ، لقد ترجم قاسم امين إلى اللغة التركية كتاب تاريخ الصراع بين الدين والعلم , وكان جزءا من عدد من المدونات التي تثير الانتباه إلى ضرورة اعتماد الطريق الأوربي للوصول للتقدم .

في الفصل الرابع : يرسم لويس العلاقة بين التحديث والمساواة الاجتماعية فناقش إقرار الإسلام للعبودية وتفاوت الحقوق بين الرجل والمرأة والمسلم والكافر وتعرض الى تعارض فكرة المواطنة مع فكرة الولاء للعقيدة فاستخدم فكرة الذمي والجزية في العالم الإسلامي والتي ظلت مشكلة بلا حل رغم تأثيراتها الكبيرة الخطرة على الاندماج الاجتماعي الحديث ولم يلتفت مفكر مسلم الى ان ذلك الامر حكم مرتبط بوقته وبظروفه او بظروف العالم آنذاك فكان ذلك مرتكز لتحريض الغرب لغير المسلمين من اتباع الأمبراطورية العثمانية على الإنفصال عنها [١٤] او المطالبة بالحكم الذاتي سعيا وراء تفكيكها واخيرا اغروها ضمن دول المحور في الحرب العالمية الاولى ولما انتصر الحلفاء فككوا ولاياتها وتقاسموها كغنائم للمنتصرين وانتهت الى الابد دولة

الخلافة في الاسلام ليفتقد المسلمون الى نظرية بديلة لنظام الخلافة بحيث ظل حزب التحرير الاسلامي والاخوان المسلمون والجماعات السلفية تعتبر استعادة نموذج الخلافة هدف ديني وتسميه الفردوس المفقود وتبنته داعش والقاعدة واعلنت ما اسمته دولة الخلافة في صيف ٢٠١٤ في الموصل

لقد اضافت مطالبات غير المسلمين من رعايا الدولة العثمانية الى اشكال الانفصال شكلا جديدا انتقل من الدين إلى العرق و أدى ذلك الى ظهور النزعات الانفصالية العرقية أو المطالبة بحكم ذاتي لدى بعض المقاطعات على اساس عرقي مما ادى إلى ضرورة إعادة النظر بالمركز القانوني لرعايا الإمبراطورية من غير المسلمين لدى فقهاء العثمانيين بيد ان مؤسسة الافتاء لم تتوصل الى رؤية انسانية تحتضن غير المسلمين , كل تلك الاخفاقات أظهرت طبقة من الإصلاحيين في تركيا خططوا لقراءة جديدة للإسلام كانوا يسمون بالاتحاد والترقي استغلتهم دول الغرب في الانقضاض على اخر تجارب دولة اسلامية كبيرة عابرة للقوميات والاديان

في الفصل الخامس : تكلم لويس عن العلمانية والمجتمع المدني وقد تحدث فيه عن الالتباس في مصطلح العلمانية وقرر أن أصول المسيحية الأولى أصول قابلة للنمط العلماني وزاد من ذلك القبول الاضطهادات التي تبنتها الكنيسة في سيطرتها على السلطتين الزمنية والروحية .فقامت الحركة البروتستانتية لتقرر علمانية النادي المسيحي وإن المسيحية بشكل عام والبروتستانتية بشكل خاص تعطي مجالا لبناء المجتمع المدني على قواعد علمانية ولا تتمتع اليهودية ولا الإسلام بمثل هذه القابلية [١٥] .

ويذكر لويس ان المسيحية تجاوزت ما درج عليه التفكير الديني من اقامة دولة دينية كما حصل للنبي يوسف (عليه السلام) الذي يعد أول من صاغ مفهوما للدولة الدينية ، واعتبر الرومان القدماء قيصر روما هو الرب فاتحد الله مع القيصر

أما المسلمون فالسيادة العليا عندهم (لله) والخليفة نائب عن الله فاتحد الزمني بالمطلق واستحكم الاستبداد السياسي على اساس ديني و يستشهد (لويس) في أطروحته بالتطبيقات التاريخية فيرى أن المأمون فرض على الدين نظرية

خاصة للدولة (مذهب المعتزلة) وأن الجغرافية المذهبية والعقائدية عند المسلمين كلها رسمت بضغوط السلطة الرسمية من حيث انتشار المذاهب و النظريات

وإلى جانب ذلك فان الشريعة في الإسلام هي القانون الموحد الأشمل للدين والمجتمع والدولة التي تخضع لسيادة المسلمين اما الدنيا فبينما يوجد في الغرب قانونان القانون المدني , والقانون الكنسي ولا توجد طبقة كهنوتية كما نصت البروتستانتية تختص بالدين ففي الإسلام بعكس المسيحية فهناك قانون ديني ولا وجود لقانون مدني وهناك طبقة رجال الدين ، ويخلص لويس الى ان هذا التمازج والتداخل بين الدين والدولة في الإسلام لا يسمح بإقامة دولة علمانية

يقول لويس : ان الاسلاميين ينتقدون العلمانية لانها استبدلت الله مرتين , مرة حين جعلت الشعب مصدر السلطات وأخرى حينما جعلت الوطن موضوعا للولاء [١٦] لكن بعد نزاع طويل تحولت بلدان المسلمين إلى دول علمانية فعلا , وان بقت إسلامية إسما , ففي تركيا تجربة علمانية محضة وكثير من الدول هي مسلمة لكنها لم تجعل للشريعة سلطة إلا في نطاق الأحوال الشخصية .ويجري الآن صراع بين الدولة التقليدية وبين الحركات الأصولية التي تريد إقامة الدولة الدينية

بالمقابل : فقد إقيمت (إسرائيل) على اسس ليبرالية ديمقراطية رغم ان اساس الدولة كان اساسا دينيا ورغم انها تمنح رجال الدين نفوذا هائلا لكنها نجحت في تطبيق الديمقراطية والمجتمع المدني والحداثة .أما فكرة المجتمع المدني فهي في أوربا مقابل المجتمع الديني أما في العالم الإسلامي – فقد جعلوه مقابل عسكرة المجتمع .

أخيرا يقول لويس : صحيح أن العلمانية في أوربا كانت محاولة لحل الصراع بين الكنيسة والدولة لكنها تحولت الى فلسفة سياسية يمكن ان تمنع الدولة من التسلط على الدين وتسخيره لأغراضها وتمنع استخدام رجال الدين لقوة الدولة لرهاناتهم .وفي الفصلين الأخيرين :كانت رؤى لويس حول الوقت كزمن تاريخي , ومسار التحديث كفعل تاريخي , وينتهي إلى أن التغير الثقافي يحمل مفهوم التغريب ولا بد للحداثة من شيء من التغريب , فلا يمكن الفصل

بينهما .

وبعد الفصل السابع عنون قسما تحت كلمة خلاصات اثبت فيها :

١- أن فهم الإسلام المتداول في القرن العشرين تسبب في ان يوجد للمسلمين عالما فقيرا وضعيفا وجاهلا يرغب ابناؤه الهجرة منه الى بلدان اوربا عصيانا لآراء الفقهاء.

٢- أن شكل السلطة في العالم الإسلامي لا يزال كما كان دكتاتوريا ليس له من الحداثة والديمقراطية شيء ولم يتمدن الافي امتلاك أجهزة القمع .

٣- أن تعثر مشروع النهضة في العالم الاسلامي مدة قرن دليل على أن الإسلام يستحيل أن يتبنى الحداثة .

٤- أن تجربة الإسلام السياسي المعاصر مختلفة تماما عن تجربته الأولى [١٧] .

فما عسى ان يفعل المسلمون ؟

الردود على اطروحة برنارد لويس : تعرضت نظرية لويس الى انتقادات عدة منها

واثارت اراء لويس ردود افعال كثيرة أشير إلى بعض منها للكشف عن تداعيات النص الاستشراقي الامريكي على المشهد الفكري المعاصر :

١-نقد الان كريش

فقد نشر موقع (نواة) مقال لـ(بار آلان كريش) في أيلول /٢٠٠٥ حول العداء للإسلام , وتكلم عن مقال عن برنارد لويس الذي اسماه جينة الإسلام قال لقد ركزت مقالة برنارد لويس على المسبقات الأيديولوجية وافاد بانه لم يكن في تحليلية التاريخي موضوعيا إنما صاغ المعلومة التاريخية بنحو يفضي الى نتائج مخططة سلفا وان أبحاث لويس لم تتحرر من التزاماته السياسية وقد انتظمت أبحاث والتزامات لويس معا بخيط واحد لترسيخ فرضية ان العالم الإسلامي متحجر ومتخلف بنيويا وان تحديث هذا العالم امر مستحيل مما يؤكد الاستنتاج أنه المكتشف الأسبق لنظرية صِدَام الحضارات التي كتبها هنتغتون فقد كان لويس قد اكتشفها منذ ١٩٥٧ وتوالت عليها الدراسات لتظهر في صورة متكاملة بكتاب هنتنغتون .

-يؤخذ على لويس تبنيه لفكرة إن الصراع ليس بين الدول أو المصالح الاقتصادية والنفوذ والثروات إنما كان الصدام بين حضارتين ودينين , وانه بدء من لحظة تدفق المسلمين نحو سوريا إلى أسبانيا وكلها مناطق مسيحية فجاء الهجوم المضاد ممثلا بالحروب الصليبية , ثم جاء ت المرحلة الثانية للمسلمين التوسع

التركي الإسلامي باتجاه أوربا الغربية فكان الهجوم المضاد الثاني للغرب بانتزاع البلدان الاوربية من العثمانيين ثم وقوع الشرق الأوسط كله تحت الهيمنة الغربية السياسية والاقتصادية والثقافية لأنهاء نموذج الخلافة او الدولة الاسلامية وقد استندت هذه التقارير الناقدة إلى Quarto, Gallimard Paris, ٢٠٠٥, p. ٥٥ وجاء فيه ان دعوة لويس دعوة تحريضية لاستمرار الحروب بين الامم واثارة النزاعات على خلفية دينية .

ويرى كريش : أن لويس لا يفسر حركة الشعوب للتحرر من الاستعمار الغربي بسببها الحقيقي , وإنما يراه موقفا سياسيا دوافعه العداء للثقافة الغربية , ويرى إن المسلمين إنما يكرهون الغرب ليس بسبب ما يفعله الغرب بهم من كوارث , وإنما بسبب رفضهم لقيم الحرية الغربية , ولآن المسلمين فقدوا جبروتهم منذ قرنين فانهم يعوضونها بكراهية الغرب ، وعلى هذه الخلفية يفسر تأميم قناة السويس وسقوط الشاه في ايران , وانتفاضة فلسطين , وحركة المسلمين في كوسوفو بانها معطيات لكراهية المسلمين للغرب وبه يفسر مساندة المسلمين ممثلين بتركيا العثمانية لدول المحور , والتحالف الغربي والاعتضاد مع الاتحاد السوفيتي ابان الحرب الباردة ضد الغرب وتجد ذلك مفصلا في كتابه جذور الغضب الاسلامي The roots of Islamic anger

وأخيرا ينتهي (كريش) الى أن لويس يتعامل مع أحداث عشرة قرون التي تميزت بالكثير من الانشقاقات والتحالفات حتى مع القوى المسيحية تعاملا انتقائيا , ويزدري غريش بدعوى لويس انه يمتلك القدرة على اختصار ما يفكر به المسلمون من نخب وشعوب وأمم وطبقات ومذاهب وفرق متعددة في توصيفاته وتنظيراته.

٢ - نقد د. أدوارد سعيد :يرد ادوارد سعيد على قول لويس ان (إن من يتنزه في شوارع القاهرة لا يسمع نوتات موسيقية لموزارت Mozar أو برامز Bramis) وهذا ليس صحيحا ويستطرد ان لويس لم يسمع في مقاهي لندن أو باريس الموسيقى العربية , ثم يقول :الم يعرف لويس ان هناك عدة عواصم عربية تملك معاهد جيدة للموسيقى وقد خرجت آلاف الموسيقين الممتازين وهم يؤدون العديد من الآوركسترات السمفونية ثم يتساءل أدوارد :لماذا يستخدم

لويس سلاح الموسيقى الغربية لمحاكمة الإسلام , ولماذا لا يأخذ بالاعتبار السجل الاستثنائي للموسيقى في العالم الإسلامي .ويختم أدوارد سعيد ان جوهر أيديولوجية لويس ان الإسلام لن يتغير وأن أية مقاربة سياسية تاريخية , أو جامعية للمسلمين عليها أن تبدأ وتنتهي من كون المسلمين هم المتخلفون لذلك شاعت مقولة تسخر بلويس تقول (على الأرجح أن أحد العلماء الأمريكيين سيكتشف قريبا جينة الإسلام لتفسير ما يفرقهم عن سائر العالم المتحضر) . جاء ذلك في كتابه Edward Said. Cite par shahid Alam r. Impossible Histories, why the many Islam's cannot be simplified

واستشهد ادوارد سعيد بالمقابل بشاهد التواريخ المستحيلة وتساءل لماذا لا يمكن تبسيط العديد من فنون الإسلام بمثل تبسيط لويس

٣ -نقد هاشم صالح : يتركز نقد هاشم صالح وهو المترجم والمصاحب لمحمد أركون لموقف لويس من الحركات الأصولية المعاصرة ، فيقول :أن علته الوحيدة موقفه غير المقبول وغير المتوازن من الصراع الفلسطيني – الأسرائيلي , فهو ميال إلى الدولة الصهيونية وأنصارها في الغرب .وينقل هاشم صالح موقف محمد أركون من كتابات لويس بانها تنتمي منهجيا إلى ((المدرسة الاستشراقية التقليدية في علم التاريخ وقد ظهرت المنهجية الحديثة المتمثلة بمدرسة الحوليات الفرنسية بديلا لها)) ويصفه هاشم صالح أنه لا يموضع الحدث ضمن المدة الطويلة لتاريخ الإسلام كما يفعل أركون , ولا يأخذ بعين الاعتبار العدوان الذي يمارسه الغرب على الشعوب الأخرى .وانه لا يموضع الأصولية الإسلامية ضمن منظور مقارن وواسع مع بقية الأصوليات كي تفهم على حقيقتها فهو حينما يصرح بان معظم الإرهابيين اليوم هم من المسلمين يواجه بالاعتراض على عدم إبراز الإعلام الغربي للعمليات الإرهابية لغير المسلمين فيرد ذلك بالتوصيف الآتي :

يقول لويس : إن غير المسلمين من الإرهابيين يقدمون أنفسهم كقوى مضطهدة مثل (الباسك / إيرلندا) ولا يحشرون الدين المسيحي في عملياتهم أما الحركات الإرهابية للمسلمين فأنها تقدم نفسها بأنها حركات إسلامية تمارس القتل باسم الله والدين وتسمي هذا القتل جهادا .

فيرد عليه هاشم صالح : لقد حصل في أوربا قتال بالغ المأساة باسم المسيحية ومنها الحروب الصليبية , والحرب الأهلية فيما بينهم التي دامت (٣٠٠) سنة , وكنموذج حرب الثلاثين عاما التي اجتاحت ألمانية وشرق أوربا في القرن السابع عشر , وكنموذج اخر محاكم التفتيش ،ان كل تلك المآسي جرت باسم الإنجيل ومباركة رجال الدين من كلتا الجهتين البروتستانتية والكاثوليكية .وعليه فلا ينبغي أن نحصر العنف بالإسلام إنما ينبغي أن نموضعه ضمن منظور مقارن وحينذاك سنكتشف أن جميع الأديان استخدمت لشر عنة العنف وليس الإسلام فقط .

إن برنارد لويس يرفض مقارنة الإسلام بالأديان الأخرى لكي يستطيع أن يلحق به وحده الصفات الدونية ومنها صفة الحث على ممارسة العنف وهذا غير صحيح تاريخيا أو منهجيا .

ويذكر لويس أن المسلمين يمارسون العنف الذي يرفضه القرآن وهو اعتراف منه بأن النص الشريف شيء والتابعون له شيء آخر ليثير فكرة الانفصام بين النصوص الاسلامية وبين ثقافة المسلمين لإن الناس يفعلون عكس مقتضى النص إذا ما دعتهم الحاجة إلى ذلك ثم يتعللون بالنصوص بعد ان ياولونها

يقول هاشم صالح انما تعلمناه من تجربة التاريخ ان ذلك جار في كل الأديان , فالمبادئ المثالية شيء والتطبيق العملي شيء آخر , وهذا يحصل في كل الإيدلوجيات وليس الأديان فقط , وللتحقق من ذلك أنظر ما حصل للماركسية

.وينقد هاشم صالح تفسير لويس لانتشار الأصولية الإسلامية , فيراها مفعمة بدافع مقاومة الإيدلوجيات المستوردة .والحق : إن الأصولية يجب ان تفهم مباشرة من عامة الناس لان مفاهيمها متجذرة تاريخيا في أعماق العقل الجمعي عند كل الاديان ومن السهل أن تعارض السلطة باسم الإيدلوجية الدينية وأن تستنهض ملايين الناس بها ولكن ليس من السهل أن تحرك الجماهير بالماركسية أو الليبرالية .لأن الدولة العربية نشأت وترسخت في صورة الدكتاتورية المستبدة التي تنهش كل أنواع المعارضات , لكنها مهما تطرفت في الاستبداد فلا تقوى على ضرب الكتلة التي تتراصف وراء مدعيات دينية مما ساعدها على البقاء

, وجعل استخدام الدين كسلاح سياسي يحقق الكثير من أهدافها .ويستطرد هاشم صالح إن الأصولية في الاصل مفهوم بروتستانتي نُشِر في المجال الإسلامي إلى حد لم نعد باستطاعتنا تحاشيه وكان الصحيح أن نطلق عليها – الحركات المتزمتة دينيا , أو المتطرفون لإن الأصولية : تيار بروتستانتي انحرف عن الليبرالية وينادي بالعودة إلى الأصول اي ((الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد)) وينتهج التفسير الحرفي ويرفض التأويل المجازي او التاريخي و يرفض اللاهوت الليبرالي وقد شهد هذا التيار انتعاشا كبيرا بعد ١١/ أيلول

يقول هاشم صالح :أما في الإسلام فلا يوجد تيار ليبرالي يستطيع أن يقف بوجه التيار المتزمت المسيطر التاريخي ولا يوجد نقد تاريخي للنصوص الدينية كما هو حاصل في المسيحية .لقد وجد لاهوت عقلاني [١٨] – عند المعتزلة , والفلاسفة لاسيما عند ابن رشد – ولكنه ضمر ومات منذ زمن طويل , وانتصر التيار الحرفي الذي أسسه أحمد بن حنبل وتبناه ابن تيمية .وزاد فيه التشدد والخرافية محمد بن عبد الوهاب , والإخوان المسلمون .

وفي المجال الشيعي هناك تيار متزمت منغلق ظهر في القرن العاشر الهجري وتمت مواجهته بحركة منهجية وعقلانية,

ويشار الى ان المأساة الكبرى تكمن في استخدام أموال البترول في نشر الفهم الضيق للإسلام لاسيما للمهاجرين إلى بلاد الغرب , رغم أن هذا الفهم يتعارض كليا مع الحداثة العلمية والفلسفية المعاصرة , والحداثة السياسية المتمثلة بحقوق الإنسان والمواطنة والحريات الفردية والقيم الديمقراطية .

تحليل الخطاب الاستشراقي الأمريكي:

يبدو ان لويس واحد من ثلاثة منظرين مشهورين يتبنون نظرية تعتقد أن التاريخ قد وصل الى حلقته الأخيرة وهي ليبرالية الغرب ولم تعد الإنسانية قادرة على تجاوز هذا الإنجاز وما حققته من تقدم وعليه فإن المطلوب الأمريكي ان تجبر حضارات الشعوب , وثقافات الأمم كي تعترف بنقصها وقصورها أزاء حضارة الغرب (عامة) والموديل الأمريكي خاصة .

١- إن هذه المدرسة الاستشراقية, لا ترى الآن منافسا لحضارتها في الهند

أو الصين , إنما تجمع على أن الإسلام هو ندها الأساس ومعادلها الموضوعي , ولما كان منطق هذه الحضارة الصراعية منطق إقصائي استئصالي , لا يؤمن بتكامل الحضارات بعد حوارها فإنهم مصرون على تفتيت الإيمان الإسلامي بمشروعهم العالمي وإنهاء القناعة لئلا تتكرر الفرضية التاريخية باكتشاف أن حضارة الغرب حضارة رقمية .

٢-ر بما نجد فرصة للاتفاق مع لويس في أن مشروعين حضاريين بدءا بالتنافس على إسعاد الإنسان في اللحظة التي تحول المشروع الإسلامي فعليا إلى مشروع عالمي وكان المعرقل له التداخل الاوربي كذلك الحال في :ان طبيعة هذا الصراع ليست طبيعة عقائدية إنما طبيعة معقدة مكونة من (القيم – الثقافة – الاقتصاد – البناء الاجتماعي) ووراء ذلك – رؤية حضارية كونية تستثمر أية فرصة للصدام ونشاطره في أن هذا الصراع لا يبحث عن الموائمة بين المكونات العامة للصراع.

٣- أن تجربة (ماليزيا) من عام ١٩٨٥ التنموية تمت بأقل من ربع قرن ويعد ظهورها تجربة ناجحة ودليل على أن هناك فرصة للحداثة والتحديث في العالم الإسلامي .

٤- إننا نعتقد أن المسلك العنفي الدموي (للسلفية القتالية) لم تولد ولادة طبيعية وشرعية , إنما هي ظاهرة صنعتها الهيمنة الغربية قفزا على التراث الإسلامي السني الذي كان متمسكا بطاعة ولي الأمر فهي ولادة غير شرعية ولذلك ارتدت هذه الجماعات من مواجهة مع الغرب إلى مواجهة مع اتباع دينهم من الفقراء والمحرومين بحجة التكفير .

٥- إن خطاب الاستشراق المسيس منه بالخصوص , يعتمد عدم التفريق بين النص المؤسس والثقافة المؤسسة على فهم بشرى للنص , ويوظف أسوأ الاجتهادات البشرية لينسبها إلى الأصل المؤسس وهذه ظاهرة تكاد توسم عموم خطاب الاستشراق والخطاب العلماني العربي تبعا له .

٦-إن كتب لويس ومواقفه السياسية تخرجه من الرواق العلمي الموضوعي المحض إلى الرواق السياسي وبه نفسر توظيف المعرفة التاريخية لصالح القرار السياسي لذلك لا يمكن التعامل مع أفكار لويس بوصفها مخرجات موضوعية لبحث علمي .

٧-يلاحظ في نص (الأمريكان سكول) الاستشراقي أنها تريد أن تؤسس

لصدام حضاري على أساس ديني محض , وفي ذات الوقت تهدف من وراء هذا المدخل إلى هيمنات اقتصادية , استراتيجية , وهيمنة لنفوذ .

٨- يريد لويس أن يقنع الناس أن الخطأ يكمن في الإسلام نفسه , والحق أن قضية التخلف والتقدم العلمي وعلاقتهما مع فلسفة المجتمع شيء ومع الدين شيء آخر , وإلا كيف نفسر فقر الولايات في جنوب أمريكا وفي المكسيك وكيف نفسر تقدم الصين , وهونج كونج , مع أن هذه التجارب لا علاقة لها بالليبرالية المسيحية ولا بالإسلام .

٩- إن المشكلة التاريخية بين الكنيسة والتنوير لا يمكن أن تتحول إلى قانون للتخلف والتقدم في العالم كله , ولا تختزل تجارب الأمم كلها في تجربة أوربا الوسطى .

١٠- إن فساد السلطة الحاكمة , والحكومات غير الصالحة , وجهالة المتغلبين على الحكم لا يمكن أن يكون ناتج إسلامي بالضرورة .

١١- إن فتاوي الفقهاء بكراهة الرحلات مؤسس على فهم الفقيه للمصالح والمفاسد , وخطأ الفقيه محتمل لكنه ليس خطأ الإسلام .

١٢- ان قضية الاندماجات الثلاثة لا تساق أكاديمية بهذا الشكل الأكثر اجمالا وعمومية .

١٣- أن فقه المرأة أكثره فقه عرفي و لعل لويس وغيره يلفت الأنظار إلى أعادة النظر فيه وكذلك التكييف القانوني لمركز (المواطن) داخل دولة تحترم القيم الإسلامية .

١٤- إن موضوع (العلمانية)تلك الظاهرة التي أفرزها تاريخ أوربا الآن تحتاج إلى رسم علاقة سليمة بين الدين والدولة في المجتمعات الإسلامية وكذلك نظرية المجتمع المدني ليست بالضرورة ذات المنهج الاوربي .

هوامش البحث:

١-(*) القوى الصراعية في الغرب : كل القوى التي تميل إلى وضع العلاقة على قاعدة المواجهة والصراع لأي هدف من الأهداف , مقابل من يرى ضرورة التضامن الإنساني .

٢- سورة البقرة ١٢٠

٣- سورة المائدة ٥١

٤-سورة المائدة ٨٢

٥- ينظر : أسباب نزول قوله تعالى : ﴿ **قَدْ نَرى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّماءِ ...**﴾ .

٦- ينظر : هاشم صالح : برنارد لويس والحركات الأصولية المعاصرة : موقع alwan . ص ٥

٧- ينظر : استراتيجيات البيت الأبيض الأربعة في الشرق الأوسط , آذار /٢٠٠٦ , كانون الثاني /٢٠٠٧ , راجع موقع معهد السلام الأمريكي .

٨- مراكز البحوث في امريكا ودورها في رسم السياسات .

-٩(*)What went wrong the clash between Islamand modern ity in the middle East

١٠- ينظر : برنارد لويس : أين يكمن الخطأ : المقدمة ص ص ١٢-٢٤ .

١١- برنارد لويس : أين يمكن الخطأ ص ٢٨.

١٢- م.ن ص٣٢ .

١٣-م.ن ص٦٣ .

١٤- م.ن ص ٧٩ .

١٥- م.ن ص ٨٥ .

١٦- م.ن ص ٨٩ .

١٧- م.ن ص ١١٩ .

١٨- التفسير العقلاني للدين .**محمد مجتهد شبستري ص٩٨** .

مصادر البحث :

١-القران الكريم

٢-الطباطبائي محمد حسين : تفسير الميزان ، دار الاعلمي للنشر - بيروت

٣-القرطبي : محمد بن احمد ، الجامع لاجكام القران تحقيق هشام سمير دار عالم الكتب الرياض٢٠٠٣

٤-الزمخشري القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي تحقيق عبد الرزاق المهدي الناشر دار إحياء التراث العربي سنة النشر ١٩٧٠ بيروت

٥- : أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى : ٤٦٨هـ) أسباب نزول القرآن حققه : عصام بن عبد المحسن الحميدان ناشره دار الإصلاح - الدمام الطبعة : الثانية ، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م

٦-مجموعة كتاب : الاستشراق بين دعاته ومعارضيه ترجمة هاشم صالح ، بيروت دار الساقي ١٩٩٤ ظ كذلك موقع الاوان لكتاب: قراءة بشرية للدين. تأليف-: محمد مجتهد شبستري. ترجمة: أحمد القبانجي.

الناشر: منشورات الجمل، بغداد، ط١، ٢٠٠٩. بحث هاشم صالح برنارد لويس والحركات الأصولية ديسمبر ٢٠١٣

٧- موقع معهد السلام الأمريكي ، استراتيجيات البيت الأبيض الأربعة في

الـشرق الأوسـط اذار ٢٠٠٦- كانـون الثـاني ٢٠٠٧

٨-برنـارد لويـس : ايـن يكمـن الخطـأ ،صـدام الإسـلام والحداثـة في الـشرق الأوسـط ، ترجمـة عـماد شـيحة ط ١ دار الـراي للنـشر- دمشـق٢٠٠٦

٩- برنـارد لويـس مـن بابـل الى الترجمانـات محـاضر الاكاديميـة البريطانيـة المجلـد ١٠١ ١٩٩٩ م

١٠- محمـد مجتهـد شبسـتري : قـراءة بشرية للديـن. ترجمـة: أحمـد القبانجـي. النـاشر: منشـورات الجمـل، بغـداد، ط١، ٢٠٠٩.

Research sources

1- The Holy Quran

2- Al-Tabatabai Muhammad Hussein: Tafsir Al-Mizan, Al-Alami Publishing House - Beirut

3- Al-Qurtubi: Muhammad bin Ahmad, Al-Jami' Lajkam Al-Qur'an, edited by Hisham Samir, Dar Alam Al-Kutub, Riyadh, 2003.

4- Al-Zamakhshari Al-Qasim Mahmoud bin Omar Al-Zamakhshari Al-Khawarizmi, edited by Abdul Razzaq Al-Mahdi, publisher, Arab Heritage Revival House, year of publication 1970, Beirut.

5- Abu Al-Hasan Ali bin Ahmed bin Muhammad bin Ali Al-Wahidi, Al-Naysaburi, Al-Shafi'i (deceased: 468 AH) Reasons for the revelation of the Qur'an

Verified by: Issam bin Abdul Mohsen Al-Humaidan, published by Dar Al-Islah - Dammam, second edition, 1412 AH - 1992 AD.

6-Book collection: Orientalism among its advocates and opponents, translated by Hashim Saleh, Beirut, Dar Al-Saqi, 1994, also the Al-Awan website for the book: A Human Reading of Religion.

Written by: Muhammad Mujtahid Shabestari.

Translated by: Ahmed Al-Qabbanji.

Publisher: Al-Jamal Publications, Baghdad, 1st edition, 2009. Research by Hashem Salih Bernard Lewis and Fundamentalist Movements, December 2013

7- US Institute of Peace website, The Four White House Strategies in the Middle East, March 2006 - January 2007

8- Bernard Lewis: Where Does the Error Lie? The Clash of Islam and Modernity in the Middle East, translated by Imad Shiha, 1st edition, Al-Rai Publishing House - Damascus 2006

9- Bernard Lewis, From Babylon to the Translators, British Academy Records, Volume 101, 1999 AD.

10-Muhammad Mujtahid Shabestari: A human reading of religion. Translated by: Ahmed Al-Qabbanji. Publisher: Al-Jamal Publications, Baghdad, 1st edition, 2009.